صور لبعض الرموز الدينية الإسلامية واليهودية. واعتقد أن هذا الأمر يتوافق مع سياسة الاستعمار البريطاني، آنذاك، والتي كانت ترمي الى اضفاء الطابع الديني والطائفي على الصراع حول فلسطين، كما أن هذه السياسة كانت تعزز السياسة الصهيونية التي اتكأت على الدين اليهودي.

وجاء الرد المنتظر من الشعب الفلسطيني، الذي احتج بشدة على محاولات تثبيت حق اليهود في فلسطين، من خلال طوابع البريد.

وعكست نكبة ١٩٤٨ نفسها على الطوابع المستخدمة في ما تبقى بيد العرب من أرض فلسطين. وفيما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٥٦ عزفت الطوابع العربية عن تصوير مقاومة الشعب الفلسطيني، أو كشف مؤامرات التوطين والاسكان التي حاكتها الادارة الأميركية، طوال النصف الأول من الخمسينات.

وفي عام ١٩٦٠، أعلنت الأمم المتحدة «السنة الدولية للاجئين»، فأصدرت معظم دول العالم طوابع تذكارية، تبنت معظمها تصميم شجرة مقتلعة الجذور، منفردة أو مصحوبة بتصميم اخر، الا مصر وسوريا واليمن، التي تفردت باصدار طوابع عن اللاجئين الفلسطينيين.

«وفي عام ١٩٦٥، في الذكرى السابعة عشرة لمذبحة دير ياسين، أصدرت معظم الدول العربية طوابع تتبنى تصميماً ذا فكرة موحدة، ترمز الى المذبحة».

ويعود الاهتمام الرسمي العربي المفاجىء بالقضية الفلسطينية الى القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة العربي الأول (كانون الثاني ــ يناير ١٩٦٤) بابراز الكيان الفلسطيني، وظهور منظمة التحرير الفلسطينية، منذ ربيع العام نفسه. وان لم يمنع هذا الأمر ــ فضلاً عن بدء العمل الفدائي الفلسطيني المنظّم ــ الدول العربية من التعاطي مع القضية الفلسطينية باعتبارها قضية لاجئين. الى أن كانت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، ونهوض العمل الفدائي الفلسطيني من بين أنقاض الهزيمة العربية في تلك الحرب.

وأصدرت المنظمات الفدائية الفلسطينية بعض الطوابع ذات الطابع النضالي، الموازي للملصقات، واستخدمت المنظمات هذه الطوابع في الدعاوة وجمع التبرعات المالية، في آن معاً. فيما بدأت الطوابع العربية في تبني قضايا الأسرى الفلسطينيين. ومع تقدم الكفاح الفلسطيني واتساع رقعة التأييد العالمي للقضية الفلسطينية، أخذت معظم الدول العربية باصدار طوابع تؤكد عروبة القدس، وتدعو الى تحريرها.

وهكذا، «يمضي تاريخ فلسطين المعاصر، من خلال طوابعها وأختامها البريدية، بألوانها وأحجامها نفسها... قصاصة ورق صغيرة، مخطوطة أو مرسومة أو مصورة، تلصق على ظرف، تحكي ملحمة دامية بما جنى الاستعمار والاقتلاع والاستيطان. ملحمة مترعة بالبذل والتضحية والانتفاضة والثورة والاصرار على غد تتحرر فيه فلسطين».

ولا يقلل من أهمية هذه الوثيقة التاريخية ــ السياسية، والتحفة الفنية النادرة، ما اعتورها من هنات صغيرات، تمثلت في ايراد بعض التواريخ غير الدقيقة، مثل تاريخ جلاء القوات الاسرائيلية في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر وقطاع غزة. ففي حين انسحبت هذه القوات من سيناء في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٧، ومن قطاع غزة في ٧ آذار (مارس) ١٩٥٧، نجد الكتاب يثبت ١ آذار (مارس) ١٩٥٧ تاريخاً لانسحاب هذه القوات، كما يهمل الاشارة الى أن هناك تاريخين للانسحاب. وفي موضع آخر، يذكر الكتاب أن مصر استعادت ادارة غزة في ٣ آذار (مارس) من السنة ذاتها، والصحيح أن الادارة المصرية عادت الى قطاع غزة في ١٤ آذار (مارس). وفي موضع ثالث يذكر الكتاب أنه «في عام ١٩٧٨، انعقد في ليبيا (مؤتمر الصمود والتصدي)» في حين أن هذا المؤتمر انعقد في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧، في طرابلس.

على أن مثل هذه الهنات تظل هامشية، ازاء هذا الجهد المضني في الجمع والاعداد والاخراج والطباعة؛ الأمر الذي يستحق معه معدا الكتاب ومخرجه الفني والمركز الغرافيكي العربي بالقاهرة (الذي أنجز الكتاب فنياً) كل تقدير وتحية.

عبد القادر ياسين